نجيب وامين الحداد

الشيخ نجيب الحداد

قد كان لي جسمٌ رسمتُ خيالهُ حرصاً عليهِ قبل يوم زوالهِ
واليوم أوشكَ ان يزولَ من الضنى فأنا لكم أهدي خيالَ خيالهِ

في التاسع من شهر فبراير (شباط) سنة ١٨٩٩ ، أصيب الأدب العربي بركن من أركانه ، وبكى الشعر العصريّ أميراً من اكبر أمرائه ديوانه ، بوفاة الشيخ نجيب الحدّاد من لا يزال الأدباء حتى اليوم يلقبونهُ بفقيد النظم والنثر ، لأنهُ أحيا موات كلتا الصناعتين وترك لنا من آثار منظومه ومنثوره ما يخلّد له اكبر ذكر

لم تتجاوز سنو حياة النجيب الاثنتي والثلاثين ، لكنهُ وضع فيها من

الروايات والمقالات والقصائد ما لا نعرف ما يوازيه قدراً ومقداراً من مؤلفات كتّاب العصر

لم يمضِ على وفاتهِ الاَّ ثلاثة عشر عاماً وبضعة أشهر، حتى راشت المنية سهماً جديداً ورشقتهُ الى تلك الأسرة فأصابت كبد شقيقه الشيخ امين ، وقد اغتالت في هذه الفترة ، بين موت الشقيقين ، خالهما اديب العصر الأكبر ، الشيخ ابراهيم اليازجي ، آخر أنجال الشيخ ناصيف ، فكانت خسارة الأدب بالثلاثة فادحة ، وكانت صفقة الموت بهم رابحة

شعرَ الشيخ امين في السنة الغابرة باشتداد التعب عليهِ ، فسافر في أوائل هذا الصيف الى جبل لبنان للراحة والاستشفاء ، فما ردَّ وطنه عنه مقدوراً ، ولا أكسبهُ راحة ، ولا جاد عليهِ بالشفاء من الداء ، فمات في عين قني من قضاء الشوف ، بعد ان ارتوت نفسه من مرأى وطنه ، وشبعت عيناه عن مناظر جباله ووهاده . الشيء الذي مات اخوه نجيب متشوقاً اليهِ ، متحسراً عليهِ ، فقال وهو محتضَر :

مات النجيب فأرّخوا قبراً له　　قد مات مشتاقاً الى لبنانِ

***

وُلد الشيخ امين في بيروت سنة ١٨٧٠ بعد ميلاد شقيقه الشيخ نجيب بثلاثة اعوام ، ومات وهو في الثانية والاربعين من عمره ، فكان نصيبه من هذه الحياة عشر سنوات اكثر من نصيب أخيهِ . وقد تلقى دروسه الأولية في مدارس سوريا ، وأخذ العربية كشقيقهِ عن خاليهِ المشهورين ابرهيم وخليل اليازجي

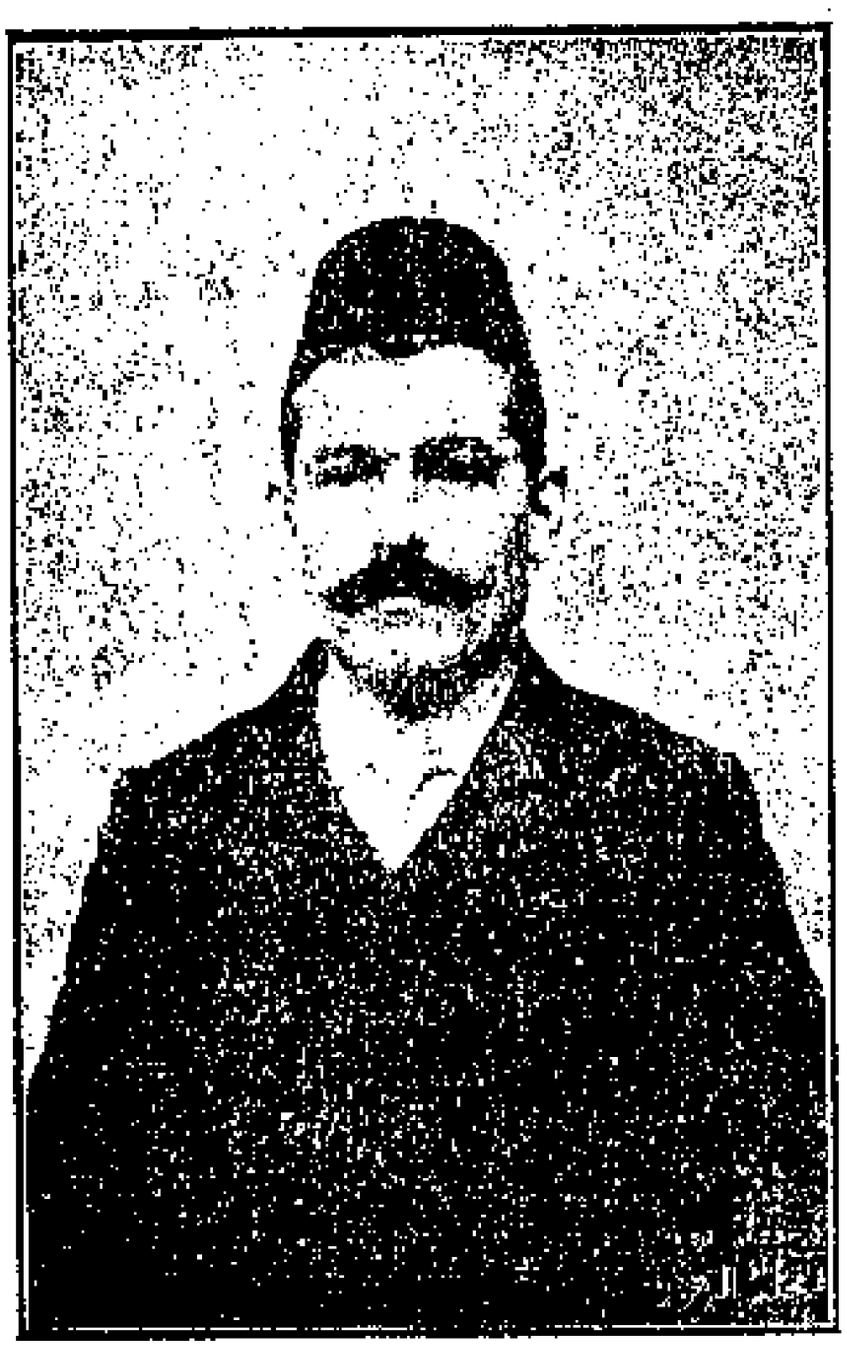

الشيخ امين الحداد

تمتّعتُ من دهري بما هو حاصلٌ سواءٌ لديَّ الغرمُ فيهِ أو الغنمُ
وما كنتُ من أهل اليسار وانما لقد كان همي انني ليس لي همُّ
أتيتَ ولا تدري وها أنتَ سائرٌ الى حيث لا تدري فحسبك تهتمُّ
وخذْ فرَص اللذاتِ قبل فواتها ألم ترَ ان الجسم يخلفهُ رسمُ

نظم طانيوس عبده

وكان أول عهده بالصحافة في جريدة « الاهرام » التي ظلّ أخوه يحرّر فيها عشر سنوات على أيام المغفور لهما سليم بك وبشاره باشا تقلا . . ثم انفصل الأخَوان عن الجريدة المذكورة ، واشتركا في انشاء جريدة

«لسان العرب» الشهيرة سنة ١٨٩٤ . فأصبحت حياتهما الادبية مشتركة . وهما في ذلك العهد ، يذكرانا بمعيشة الأخوين الشاعرين بطرس وتوما كورنيل ، اذ كانا ينظمان وهما في منزل واحد ، فينادي الواحد الثاني عندما تعصاه القافية . « يا أخي أعِرني قافيةً »

وقد كتب الشيخ امين فصولاً شائقة على صفحات «الجامعة العثمانية» وجريدة « السلام » ومجلة « أنيس الجليس » . ثمَّ دخل في جريدة « البصير » لصاحبها رشيد بك شميّل ؛ وظلّ ثلاثة عشر عاماً يدبّج فيها من المقالات الرنانة ، والملح الأدبية المستظرفة ، ما حمل البعيد والقريب على الشهادة له بسرعة الخاطر ، والرشاقة في التعبير ، والسهولة في التفنن باساليب الانشاء والشاعرية الحقيقية ، ومضاء القريحة

وقد اتفق كلّ من عرف الأمين على وصفهِ بكرم الأخلاق ، ولطف العشرة ، وخفة الروح ، ورعاية الذمام ، والقناعة والتواضع والبعد عن كل تظاهر . وقد سألنا حضرة الشاعر طانيوس افندي عبده — وقد كان رفيق الاخوين الشاعرين وثالث هذين القمرين — عن رأيه في الشيخ امين ، فأجابنا بالابيات الاربعة التي تراها تحت صورة الفقيد ، وقال: هذا هو الشيخ أمين وهذه هي حياته وليس لي من الابيات الا نظمها

ولئن بكى فيهِ الأدب كاتباً بليغاً وشاعراً رقيقاً ، فان اصدقاءه يبكون فيهِ فوق ذلك ، خلاً وفياً وصديقاً صدوقاً

في اول سنة ١٩١١ اقترح الأديب محمود افندي ابرهيم ، صاحب « الاكسبرس » الاسكندري ، على فريق من الكتّاب أن يعربوا عن أمانيهم في

مطلع العام الجديد ، فكتب المرحوم الشيخ امين الحداد نبذةً في هذا الموضوع أحببنا نشرها للقراء لأنها تنمُّ ، من وراء ستار الهزل ، عن مللٍ من الحياة وتعبٍ من العمل ، كأن صاحبها كان يشعر بدنو أجله ، وقد تحققت امنيته لسوء الحظ ، ورقد رقاده الأخير مستريحاً راحة ابدية ، قال رحمات الله عليهِ :

أنت تعلم أنني منذ عشرين سنة وأنا خادم في دولتين عظيمتين خدمة لم تنقطع يوماً واحداً ، وهما دولتا الصحافة والكأس. بل اذا سامحتني دولة منهما يوماً أو بعض يوم ، كان ذلك مخصصاً لخدمة الدولة الأخرى . ولقد ترى حصان المركبة يُحلُّ لجامه ، ويُطلق الى المراتع ليستأنف حياته ونشاطه ، بل لقد ترى أمواس الحلاَّق ، وهي جماد ، تُراح من العمل لتستعيد حدتها ورهفها . اما خادم هاتين الدولتين فلا يُسمح له بشيءٍ من ذلك ، بل لقد اكون أنا المخصوص دون سائر الزملاء بهذه المهنة (التي تَبِعَتها عليَّ وليس لي منفعتها) . فلطيور السماء أوكار ، ولثعالب الأرض أوجار ، وأما هذا الخادم فليس له مكان يضع فيهِ رأسه ليستريح الا ان يكون ذلك الموضع الاخير ، وربما يكون في احدى زوايا «البصير» لذلك تراني لا أتمنى في سنة ١٩١١ الا ان أُحال على المعاش في احدى هاتين الدولتين ، ولكنني أتمنى معاش الصحافة ، فقد خدمت دولتها اكثر جداً من دولة الكاس التي لا يزال لها عليَّ ديون وحقوق . فهل « للاكسبريس » ان « يسرع » في تحقيق هذه الامنية لهذا «المتأخر» الذي طال انحباسه ، وضاقت أنفاسه ، وملّت من الانتظار كاسه

ابن الحداد